اشعياء النبي القائل لبنات بابل اللواتي رين في الترف والكسل : « انزلي واجلسي على التراب ، ايتها البكر بنت بابل ، اجلسي على الارض ، فانه لا عرش لك يا بنت الكلدانيين ، ولا تدعين من بعد ناعمة مترفة . خذي الرحى واطحني الدقيق ، اكشفي نقابك وشمري الذيل (اشعياء ٤٧ : ١ ـ ٢) ـ . ومن العجب ان مر على كلام الرب قرون وعصور ولم نر ما يكذب ذاك العقاب الذي عاقب به تلك المدينة العظمى من جراء شعب الله . . كنا نتصور عند سماعنا تلك الجمجمة اننا نسمع دائماً ذلك الوعيد يدوي في آذاننا ، ولعل تلك النساء كن مولودات في ارض تلك المدينة القديمة بابل العظيمة .

(الاب يوسف نويس الكرملي)

بقايا قصور الخلفاء في مدينة سامراء

تابع لما في الجزء الخامس

— ٥ —

١ قصر الخليفة

اذا حزت (بركة السباع) أو (ام البطوط) وانت متوجه الى الشمال الغربي ، وقطعت مسافة لا تقل عن ٥٠٠ متر تقف على قصر يعرف اليوم عند اهل سامراء (بقصر الخليفة) . والبعض

يسميه : (دار الخليفة) والمعنى واحد . وهو الذى مر ذكره فى آخر مقالة الجزء الخامس .

اما هيئة هذا القصر فتشبه بعض الشبه (ايوان كسرى) المشهور الواقع فى شرقى بغداد فى جانبها الشرقى على مسافة عشرين كيلو متراً تقريباً . ولا نعلم شيئاً يعتمد عليه من امر هذا القصر بوجه اكيد . ولا لمن هو ، ولا اى خليفة كان ينزله كما نجهل الخليفة الذى ينسب اليه . والوقت الذى بنى فيه . ونحن لم نعثر على ما يدلنا الى غايتنا . لا كتابة ولا علامة . اذ الذى يشاهد هو بناء مرتفع ذاهب فى السماء . وقد افترش من الارض مساحة تقارب كيلو متراً . وهو ولاشك من آثار الخلفاء العباسيين الذين دوخوا العالم بمدنيتهم وحضارتهم . اذ هل من نزل سامرآء شيد فيها قصراً بل ربما قصوراً . ولا سيما المتوكل . فقد قال ياقوت فى معجمه عند ذكره قصور سامرآء :

« واراد الرشيد ايضاً بناءها (يعنى سامرآء) فبنى بحذائها قصراً بازآء ايوان عظيم قديم كان للاكاسرة ... وكان الرشيد حفر عندها نهراً سماه (القاطول) (وهو الذى مر ذكره فى الجزء الرابع من هذه المجلة) وانى الجند وبنى عنده قصراً . ثم بنى المعتصم ايضاً هناك قصراً ووهبه لمولاه اشناس ... ولم يبن احد من الخلفاء بسر من رأى من الابنية الجليلة مثل ما بناه . فمن ذلك القصر المعروف (بالعروس) . انفق عليه ثلاثين الف درهم . والقصر

(المختار) خمسة آلاف الف درهم . (والوحيد) الفي الف درهم . (والسيدان) (١) عشرة آلاف الف درهم . (والبرج) عشرة آلاف الف درهم . (والصبيح) خمسة آلاف الف درهم . (والمليح) خمسة آلاف الف درهم . (وقصر بستان الاباخية) عشرة آلاف الف درهم . (والثل) علوه وسفله خمسة آلاف الف درهم . (والجوسق) (٢) في ميدان الصخر خمسمائة الف درهم .

(١) السيدان بسين مهملة يليها ياء مثناة تحتية يليها دال مهملة بعدها الف ونون . وقد وردت هذه الكلمة مصحفة في النسخ المطبوعة فالنسخة الافرنجية ذكرتها باسم (الشيدان) بالشين المثلثة والياء المثناة . والنسخة المصرية ذكرتها باسم (السيدان) بالسين المهملة والياء المثناة . وقد جاء في بعض نسخ الخط باسم (الشيدان) اي بشين مثلثة بعدها باء موحدة تحتية . والذي نراه ان الاصح السيدان بسين مهملة وياء مثناة تحتية لان هذه المادة معروفة في العربية اما غيرها فمجهولة والسيدان اسم جبل في نجد كما ان احد القصور اسمه (التل) .

(٢) ذكره اليعقوبي باسم (الجوسق الخاقاني) وقال في محل آخر من كتابه « ثم توفي الواثق في سنة ٢٣٢ هـ وولي جعفر المتوكل بن المعتصم فنزل الهاروني وآثره على جميع قصور المعتصم (والهاروني هذا واقع على دجلة وقد بناه هارون بن المعتصم وهو الواثق بعد موت ابيه عند توليته الخلافة وانزل ابنه محمداً المنتصر قصر المعتصم المعروف بالجوسق .

(والمسجد الجامع) خمسة عشر الف الف درهم . (وهو الذى جاء وصفه فى الجزء الخامس باسم مسجد الملوية) . وبركوانا (ويروى بركوان وهو خطاء) المعتز الف الف درهم . (والقلائد) خمسين الف دينار . و جعل فيها ابنية بمائة الف دينار . (والفرد) فى دجلة الف الف درهم . (والقصر بالمتوكلية) وهو الذى يقال له (الماحوزة) خمسين الف الف درهم . (واليهو) خمسة وعشرين الف الف درهم . (واللؤلؤة) خمسة آلاف الف درهم ... وكان المعتصم والواثق والمتوكل اذا بنى احدهم قصراً او غيره ، امر الشعراء ان يعملوا فيه شعراً فمن ذلك قول على بن الجهم فى الجعفرى الذى للمتوكل .

وما زلت اسمع ان الملوك تبنى على قدر اقدارها
واعلم ان عقول الرجال تقضى عليها باثارها
فلما راينا بناء الامام رأينا الخلافة فى دارها
بدائع لم ترها فارس ولا الروم فى طول اعمارها
وللروم ما شيد الاولون وللفرس آثار احرارها
وكنا نحس لها نخوة فطامنت نخوة جبارها
وانشأت تحتج للمسلمين على ملحديها وكفارها
عيون تسافر فيها العيون اذا ما تجلت لابصارها
وقبة ملك كأن النجوم تضئ اليها بأسرارها
نظمن الفسافس نظم الحلى لعين النساء وابكارها

نوان سليمان ادت له شياطينه بعض اخبارها
لايقن ان بنى هاشم تقدمها فضل اخطارها

ولا تكاد ترى اليوم اثراً لهذه القصور التى ذكرها ياقوت بل ولا تسمع من اسمائها الا ما ذكرناه او سوف نذكره

٢ قصر الخليفة

قصر ينبئك مرآه ورصانة بنائه وحسن وضعه عن مدنية لم تحيَ فى العصور التى تلت بناء ذلك الصرح . فهو اذا اثر عظيم من آثار العراق الخالدة. ونظن ان هذا القصر من ابنية المعتصم ، ويؤيد ظننا قول اليعقوبى فى كتاب البلدان وهذا نصه :...« ويمتد الشارع (اى الشارع الكبير وهو الاول) وفيه قطائع عامة الى دار هرون بن المعتصم وهو الواثق ...» ثم باب دار العامة ودار الخليفة وهى دار العامة التى يجلس فيها يوم الاثنين والخميس:...« ثم قال عن الشارع الثانى ...« ويتصل ذلك (اى مجموع الاقطاعات) الى باب البستان وقصور الخليفة .» اه والذى اقطع الاقطاعات وبنى القصور وكان صاحب دار العامة هو المعتصم بالله . ولعل هذا القصر من بقية قصور الخليفة وانما لم يقولوا «قصور الخليفة» بالجمع لان من يراه اليوم وهو قصر واحد يظن انه اذا سماه بلفظ الجمع يخطا فلهذا يعدل عنه الى المفرد تطبيقاً للكلام على حقيقة الواقع فيقول «قصر الخليفة» والجرى على هذا السنن من مالوف عوائد اعراب العراق فى تحريف الكلم عن مواضعها .

اولعل مايرى اليوم هو دار العامة لان بعض اهل سامرآء يسميه اليوم (دار الخليفة) كما ذكرناه فوق هذا. وهذا الاسم يقرب ايضاً الظنون من الراى الاول. وعلى كل فهو لابد ان يكون المعتصم او ولده المتوكل. والله اعلم .

ودونك الآن وصف هذا القصر على مايرى اليوم :هو ايوان كبير كما اسلفنا القول فى صدر هذه المقالة وعن جانبيه ايوانان آخران اصغر منه طولاً وعرضاً وارتفاعاً . ووجهه يقابل الشمال الغربى . اما طول الايوان الكبير وهو الاوسط فيبلغ ١٣ متراً وعرضه ثمانية امتار ونصفاً . وارتفاعه ٢٥ متراً . وفى آخره من داخله باب ينفذ الى ايوان صغير ليس له منفذ من الجهة الاخرى . اما عرض الباب المذكور فثلاثة امتار ونصف وارتفاعه خمسة امتار . وعرض الجدار الذى عليه طرفا عقد الايوان ثلاثة أمتار . اما الايوانان الصغيران اللذان عن جانبى الايوان الكبير فطول كل منهما خمسة امتار ونصف . فى اربعة امتار ونصف متر عرضاً وعشرة امتار علواً . وعرض الحائط الذى يقوم عليه طرفا العقد متران ايضاً . ولكل منهما من الداخل باب ينفذ الى حجرة صغيرة . اما عرض الباب فمتران وارتفاعه ثلاثة امتار ونصف متر .

اما بناء هذا الصرح الفخم فبالجص والآجر او الطاباق الكلدانى . وبعض هذا الطاباق من نوع طاباق جامع الملوية ، وقد فرش صحنه بالطاباق الكبير المذكور اى الكلدانى وكل عقوده

مقوسة . وعن جانبية القاعان طول كل منهما سبعة امتار . اما الفناء الذى عن يمين الايوان المقابل للشرق فقد سقط ثلثه وبقى منه ثلثان . والذى عن الشمال وهو المقابل للغرب فقد هدم ثلثاه وسلم منه ثلث واحد . وورآء الايوان المذكور تجاه الجنوب الشرقى بناء قد بقى منه شئ وهو متصل به وما هذا الشئ الا رسمه . ويمتد الى الشرق من ورآء الايوان مسافة ثمانية امتار ونصف متر وحوله انقاض جمة لا تكاد ترى موضع شبر من ارضها خاليا منها لتراكمها وتكاثرها . وفوق سطح الايوان تجاه الشرق او قل تجاه الشمال الشرقى شرافة قد سقط معظمها وبقى منها ما يبلغ علوه زهاء ثلاثة امتار فى متر ونصف طولا .

والايوان الكبير ماثل بهيئته الاولى ولم يتلف منه الا بعض الحجارة وبينه وبين الشط قراب كيلو متر .

٣ سوراشناس

على بعد نحو ١٣٠٠ متر من جهة الشمال الغربى من سامرآء سور اشناس . هذا الاسم القديم معروف الى هذا اليوم وهو مضاف الى اشناس التركى قال اليعقوبى : « واقطع (اى المعتصم) اشناس واصحابه الموضع المعروف (بالكرخ) وضم اليه عدة من قواد الاتراك والرجال وأمره ان يبنى المساجد والاسواق ... ولما

(١) هو اول مملوك اشتراه المعتصم من ابناء الترك وكان مملوكا لنعيم ابن حازم ابى هارون بن نعيم .

اقطع اشناس التركى فى آخر البنا ء مضرباً وأقطع اصحابه معه وسمى الموضع (الكرخ) امره ان لا يطلق لغريب من تاجر ولا غيره مجاورتهم ولا يطلق معاشرة المولدين ... وقال ياقوت : ... ثم بنى المعتصم ايضاً قصراً وهبة لمولاه اشناس وانزل اشناس بمن ضم اليه كرخ سامرآء وهو كرخ فيروز ... ولم يبق منها (اى من سامرآء) الا الموضع الذى به سرداب القائم المهدى ومحلة اخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامرآء ... »

اما السور فهو عبارة عن شرفات قائمات لاغير ، وبناؤه باللبن والجص وساحته كلها عبارة عن تلول صغار وكبار ومساحته بقدر مساحة سور عيسى المار ذكره فى الجزء الخامس ، بل ربما يزيد عليه بقليل . وفى جوانبه الاربعة انقاض كثيرة . واذا جزته وانت متجه الى الشمال الغربى تقع بعد مسافة نحو (٥٠) متراً على طريق شبيه (١) بالشارع عرضه زهاء عشرين متراً ويمتد الى ابى دلف قراب خمسة كيلو مترات الا انه يتشعب من جانبيه مسالك وطرق كثيرة هى اليوم ضيقة تتفاوت مسافاتها فى القرب والبعد عن سامرآء .

(١) لعله الشارع الذى ذكره اليعقوبى فى كتاب البلدان قال ... ومد الشارع الاعظم من دار اشناس التى بالكرخ وهى التى صارت للفتح بن خاقان مقدار ثلاثة فراسخ الى قصوره (اى الى قصور الخليفة) واقطع الناس يمنة الشارع الاعظم ويسرته وجعل عرض الشارع الاعظم مائتى ذراع ... »

٤ ابودلف (١)

اذا امتحت فى ذلك الشارع كل الامعان ينتهى بك الى « ابى دلف » وهو عبارة عن مسجد له سور مبنى بالطاباق والجص على غرار سور « مسجد الملوية » بالطول والعرض ، بل ربما يكبره بقليل . اما طاباقه فهو اكبر حجماً من طاباق مسجد الملوية واقوى بناءً واحسن هندسةً . وقد سقط جانبان منه وبقى الجانبان الآخران. وفيه منارة بهيئة منارة مسجد الملوية الا انها ليست مفتولة بل مستديرة مستطيلة يبلغ محيط اسفلها نحو (١٣٠) متراً واعلاها قراب (١٠) أمتار . وهى دون الملوية علواً بنحو (١٥) متراً والجامع قريب من دجلة بينه وبين الماء زهاء (٢٠) متراً وفوقه بنحو (٥٠) متراً سدر نهر (الرصاصى) ، وقد كانت عليه فى سابق العهد قنطرة عامرة مبنية بالجص والطاباق وقد تهدمت اليوم ولم يبق منها سوى الاثر .

وحول ابى دلف شرقاً وغرباً انقاض وتلول تفترش على ارض

---

(١) لاندرى من هو المراد بابى دلف هنا. فاننا لم نجد ذكر لابى دلف فى مادون من تاريخ سامراء ولعله ابو دلف العجلى لانه بقى الى ايام المعتصم وعاش فى ايام خلافته سبع سنين قضى ستتين منها حينما كان يقيم المعتصم فى بغداد وقضى الخمس السنوات الاخرى حينما كان يقيم فى سامراء لان المعتصم ولى الخلافة فى شهر رجب ٢١٨ هـ وتوفى ابودلف سنة ٢٢٥ وهذا ماتفق عليه جميع المؤرخين .

تبلغ مسافتها مسير نصف ساعة . ثم اذا حزت تلك الاقاض وسرت في ارض تقارب مساحتها مساحة تلك الارض التي غادرتها تقف في قرية الدور .

كاظم الدجيلي

غنى هيت وذكر معادنها

٦ جوها وماؤها وارضها وزراعتها .

هواؤها طيب ومناخها (١) حسن وارضها صفية . وليس في العراق بلدة مشهورة بنقاوة هوائها وصفاء مائها وحسن ترتيبها مثل هيت . ولهذا اشتهر اهلها بالزراعة والحراثة منذ سابق العهد الى يومنا هذا . لكن زراعة اليوم ليست كزراعة امس في عهد العباسيين فهي لاتكاد تذكر بجنب ما كانت عليه في عصر غضارتها

(١) انكر جماعة فصاحة كلمة المناخ بالمعنى المالوف اي climat الا ان صاحب اللسان والفيروزابادي والسيد مرتضى استعملوها بهذا المعنى في قولهم عن الجحجاع : الجحجاع : معركة الحرب ومناخ سوء من جدب وغيره لا يقر فيه صاحبه . قال صاحب الجاسوس على القاموس ص ٣٧٠ « استعمل المناخ بالمعنى المشهور الان في الاقطار الشامية (وبيار العراق) وعندي انه صحيح . مثاله قولهم : ضيق العطن ، يضيق الفطن . والعطن في الاصل : وطن الابل ومبركها حول الحوض ، ومربض الغنم حول الماء . فهو من استعمال الخاص في العام (لغة العرب) .